نقيضـــان

« هكذا قال العلى المرتفع ساكن الأبد القدوس اسمه،
في الموضع المرتفع المقدس أسكن ومع المنسحق والمتواضع
الروح ، لأحيى روح المتواضعين ولأحيي قلب المنسحقين »

(اشعياء ٥٧: ١٥)

عظة القاها الدكتور ستيوارت هولدن

(1874 – 1934)

ان أشد الأخطار التي تعترض المسيحي المؤمن هو أن يعتز بماضيه فيعيش في دائرة الماضي وحسب، كأن الله اقتصر على بركات الماضي . أيضا يوجد خطر داهم ذلك هو برنا الذي ننسجه من صنعنا كأن بر المسيح لا يكفينا . أجل ، أنه من بين خرائب الماضي، وأطلاله التي عفا عليها الدهر ، ولكنها ربضت في عقولنا مستحكمة علينا بجبروتها وغطرستها ، يستطيع الرب أن يقيم دعائم حياة جديدة مجيدة . فلنغض النظر عن ماضينا ، وعن اختباراتنا ، بل عن ذواتنا، ولنتفرس في الرب وحده بكل ما يحيط به من جلال وبهاء.

يا له من امتياز عجيب ! المرتفع القدوس • يسكن مع المتضع .. المنسحق .. ليحيى ، ويجدد ، ويقدس ويطهر ، ويكرس . عندما نطق اشعياء بهذه الكلمة كان اسرائيل في انحلال وتدهور من جهة عبادة الله حتى لقد تربعت الوثنية في ذات بيت الله ، وتسربت عبادة الأصنام الى الشعب المختار الذي لم يكن له في الماضي الها الا الله . فانطفأت النار التي كانت دائمة الوقود من على المذبح ، وهبت أعاصير الخطية على الجذوة الملتهبة فأخمدتها . نزلوا إلى دركات الخطية حتى دنسوا اسم الله القدوس وسط الشعوب . وتفشت الأنانية بينهم حتى صار كل واحد لا يهتم الا بنفسه ، فجاء اليهم اشعياء النبي بهذه الرسالة ليرجعوا إلى الرب الذي تركوه ، وليذكروا الاله الدي نسوه هكذا الحال معنا في هذه الأيام ، التي كل ما بها ينطبق على الحالة التي كان فيها اسرائيل قديماً اننا لا نتبارك الا اذا رجعنا الى الرب بكل قلوبنا . هيا اذكر عظمته وارهبه رهبة مقدسة ، واذكر مراحمة وتشدد وتشجع اذكر سيادته وانطرح أمامه متضعا بسبب خطاياك وآثامك وفتورك و تقاعدك . ثم اذكر ايضا عطفه من نحوك وأناته و سلم له قلبك كاملا بلا قيد ولا شرط . اذكر جلال مجده وبهائه واسترد العلو الشاهق الذي كنت تحلق فيه محمولا على أجنحة الإيمان والمحبة والوفاء . اذكر رحمته التي لا يحدها الفكر فترتقي الى مركز الشركة المباركة على أذرع مراحمه . ان اسرائيل لم يستطع أن يفهم مرامى هذه الرسالة بما فيها من علو وعمق كما نفهمها نحن الذين نلنا بركات الفداء في المسيح الذي رفضوه .

توجد أربع حقائق متضمنة في هذه الرسالة :

أولاً - تناقض غريب :

قال أحد «البيورتان» أن لله عرشين ، أحدهما ثابت في السماء والآخر في أوضع قلب . هل لي أن أوضح لك ذلك بالبديهة والعقل ، لكن ماذا يبقى للابدية أن تعلن لنا ما لم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على بال انسان ما أعده الله للذين يحبونه ؟ كيف يتأتى هذا ؟ الاله الذي لا تسعه السموات ولا سماء السموات يتنازل ليسكن في قلوبنا الضيقة ، ويملأ حياتنا المحدودة ! ولأوضح ذلك من المشاهد الطبيعية أرجوك أن تلقي بنظرة إلى الكواكب والأجرام السماوية الهائلة وهي تتألق في ليلة صافية من ليالي الصيف . فكل واحدة منها عالم عظيم يفوق عالمنا هذا بمراحل ، لكن كيف يمكنك بعينيك الصغيرتين أن تجمعها في نظرة واحدة ؟! هذا هو السر.

ثانياً - تنازل عجيب :

ان الله القدوس العظيم في جلاله وجبروته يتنازل لكي يسكن مع المنسحق، الله الذي تنازل في التجسد يريد أن يعلن مجد هذا السر في كل حادثه من حوادث التجديد الكلمة صار جسدا وحل بيننا . فكل ما فقدته أنا بكبريائي استرده هو با تضاعه . والمجد الباهر يضحي نعمة ظافرة ، وفي كل سلطان حياته يتنازل لكي يحل مشكلة الخطية في حياتي ، مقوما كل اعوجاج ، محفزا الى أنبل الأغراض ، وأعلى النزعات ، خالقا الحياة الجديدة مجددا الى طاعة مجيدة . العالي المرتفع ساكن الأبد يأتى كى يجد له عرشا آخر في مملكة جديدة . وهذا يقتضي أن يجد عرشي أنا الذاتي ، ذلك العرش الذي كانت تصدر منه الأوامر الذاتية الجسدية . فيوم تتويجه ملكا على حياتي هو يوم صلبى يسود حاكما على يجب أن أسجد أنا عند موطىء قدميه

ثالثاً - موقف خطير :

يسكن مع من ؟ مع المذسحق ! وما معنى هذا؟ ان المذسحق هو المسحوق الذي لا تتبقى فيه ذرة من القوة الذاتية . هنالك يدخل ملك المجد معلنا سلطانه مقوضا كل أنانية أو ذاتية مهلكة . يزحزح الذات عن عرش القلب متبوئا هو بسلطانه وشرائعه الجديدة المباركة لكي تخضع الذات لذلك السيد الأمين.

زار فنان ماهر أحد الطلبة الجامعيين في منزله فوجد جدران حجرته مغطاة بالصـــور المبتذلة . لم يتكلم الفنان مع الطالب كلمة واحدة ، بل ذهب الى داره وأكب في مرسمه على صورة تمثل المسيح في عطفه ومحبته وهو يطل بعينين فاحصـــتين الى شـــغاف القلب ، أخذها إلى الشـــاب ورجاه أن يعلقها على جدار حجرته . وضعها الشاب وسط تلك الصوره وسرعان ما وجد أنها لا تتفق وتلك ، فأخذ ينتزع تلك الصور الماجنة واحدة بعد الأخرى حتى لم تتبق الا صورة واحدة هي صورة المسيح.

رابعاً - نتيجة عظيمة :

لأحيى روح المتوا ضعين ولأحيى المذسحقين وهذا اعلان عمل المسيح . قد أتيت لتكون لهم حياة ، وليس مجرد حياة بل ليكون لهم أفضـل . حياة ظاهرة في شـتى مناحي الوجود ، حياة معلنة في ألف طريقة متى كنا مسلمين القلب لخدمته وطاعته ، المسيح يحيا في . هل نسكت برهة في حضرته ونحني رؤوسنا لنرد جوابا على هذا النداء : « ارتفعن ايتها الأبواب وارفعن رؤوســـكن أيتها الأرتاج الدهرية لكي يدخل ملك المجد . من هو هذا ملك المجد - الرب القدير الجبار » - ربك الذي أنت في مسيس الحاجة اليه.

منقولة مع التنسيق للواعظ الشهير ستيوارت هولدن . الرب يستخدم هذه العظة لتكون سبب بركة للنفوس